

صدی القرآن الکریم فی شعر محمد مفتاح الفیتوری

مهرداد آقایی^۱ (الأستاذ المساعد، جامعة المحقق الأردییلی)، غلامعباس رضایی هفتاد (الأستاذ المشارك، جامعة تهران)

تاریخ الوصول: ۲۰۱۹/۰۱/۲۹

تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/۱۱/۰۹

تاریخ القبول: ۲۰۱۹/۰۳/۰۶

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۷/۱۲/۱۵

صفحات: ۱۴۰-۱۲۹

الملخص

إن القرآن الکریم مصدر أمّ للمصادر العربية، و تتبیّن أهمیته و قیمته عند موازنته بالكتب الأخرى و لا شك أن القرآن الکریم و مضامینه العالیة من أهم روافد الشعر العربي، فاستلهم منه الشعراء الکتیرون من الموضوعات و الشخصیات التي كانت محورا لإنتاجهم الأدبیة العظیمة التي اتخذت نصوصها من القرآن الکریم. التناص ظاهرة جدیدة لمفهوم قديم ظهر إثر الدراسات اللسانیة فی الغرب، و له جذور عریق فی الدراسات النقدیة القدیمة بتسمیات و له مصطلحات مختلفة كالاقتباس و التضمن و الاستشهاد و المحاکاة و ماشابه ذلك فی الدراسات الحدیثة كتوظيف الأسطورة و غیرها. التناص القرآنی یعتبر من التناص المباشر و من أبرز مصادر التجربة الشعریة فی الشعر الحدیث. هذا البحث معالجة فی شعر الشاعر السودی المعاصر «محمد مفتاح الفیتوری» للحصول و المعرفة على أبرز أشكال التناص القرآنی فی أشعاره التي تسمى النصّ الحاضر و الآیات القرآنیة التي استفاد الشاعر منها و تسمى النصّ الغائب. و نستنتج من هذا البحث أنّ كل شعر عربي متأثر من القرآن الکریم مباشراً أو غیر مباشر، و لو إدعى صاحب الشعر بأنه لم يأخذ شيئاً من القرآن و هذا أمر مستحال.

الكلمات الرئيسية: القرآن الکریم، الشعر العربي الحدیث، التناص، الفیتوری، السودی

پژواک های قرآنی در اشعار فیتوری شاعر سودی

مهرداد آقایی (استادیار دانشگاه محقق اردییلی)، غلامعباس رضایی هفتاد (دانشیار دانشگاه تهران)

چکیده

قرآن کریم به عنوان یکی از منابع اصلی برای علوم زبان عربی و سایر منابع عربی است. اهمیت و ارزش قرآن زمانی بهتر مشخص می شود که با کتاب های دیگر مقایسه و برابری شود. بدون شک قرآن کریم با مضامین والای خود به عنوان راهبری مهم برای شاعران عرب بوده و بیشتر شاعران عرب از موضوعات قرآنی و شخصیت های مذکور در آن برای غنی تر ساختن آثار خود بهره ها برده اند. پدیده بینامتنی به عنوان یک پدیده نوظهور با مفهومی قدیمی به دنبال پژوهش های زبانشناسی در غرب به منصف ظهور رسید که دارای ریشه و اصالت عمیقی در پژوهش های نقد ادبی قدیم زبان عربی با نامها و اصطلاحات مختلفی همچون اقتباس، تضمین، استشهاد، محاکات، کاربست اسطوره و نام های مشابه آن بوده است. بینامتنی قرآنی از بارزترین منابع نمونه های شعری محمد مفتاح الفیتوری و از نوع بینامتنی مستقیم به شمار می آید. این پژوهش بر آن است که شعر محمد مفتاح فیتوری شاعر معاصر سودی را با بررسی انواع بینامتنی قرآنی مورد واکاوی قرار دهد، شعر الهام گرفته از قرآن به عنوان متن حاضر و آیات بکار رفته در آن به عنوان متن غایب نامیده شده است. از این بحث نتیجه گرفته می شود که شعر فیتوری تحت تأثیر مستقیم و غیر مستقیم مضامین و واژگان قرآن بوده است.

واژگان کلیدی: قرآن کریم، شعر معاصر عربی، بینامتنیت، فیتوری، سودی

١. المقدمة

إن الحديث عن القرآن الكريم يلقي هيبة وتخوفاً في الإنسان، وبقدر هذه الهيبة والتخوف تتبين أهميته و قيمته و ضرورته و لا شك أن القرآن الكريم ومضامينه العالية من أهم روافد الشعر العربي، فاستلهم منه الشعراء الكثيرون من الموضوعات و الشخصيات التي كانت محورا لإنتاجاتهم الأدبية العظيمة. فنلاحظ عند البحث عن التناص الديني و مدى حضوره في أعمال الشعراء المعاصرين، إستلهم عدد غفير منهم من القرآن و إستدعاهم الشخصيات القرآنية وذلك للتعبير عن معاناتهم، لأنهم وجدوا بينها وبين ما يجري في بلدهم تماثلا فاعتمدوا على هذه المفاهيم على سبيل التناص لإثراء نصهم الشعري. تعتمد عملية الإبداع على مجموعة من البنية اللغوية التي تتسرب من نص إلى آخر، عبر مراحل زمنية طويلة، وليست القصيدة المعاصرة، في بعض جوانبها، إلا مزيجاً مما استقر في ذاكرة الشاعر المبدع من مخزونات ثقافية معرفية مختلفة المصادر.

١-١. خلفية البحث

لم يتطرق الدارسون في مجال التناص القرآني إلى دراسة المضامين الدينية في شعر الشاعر الفيتوري، بل الذي تمت دراستها لحد الآن يدور موضوعه في مجال الحقل العام امثال: تأثير القرآن في الشعر المعاصر او التي يطرق اليه الباحثون يتمحور موضوعه على خصوص دراسة التناص في الشعر الشعراء المعاصرين. و بإمكاننا أن نشير إلى عدد من الاعمال التي قد تمت دراستها وترتبط بالموضوع كما في التالي:

١. مقالة «التناص القرآني في شعر غادة السمان» لشازاد كريم عثمان و لمياء ياسين حمزة.
٢. مقالة «التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر» للدكتور علي سليمي و عبدالصاحب طهماسبي.
٣. مقالة «التناص القرآني في شعر جميل صدقي الزهاوي» للدكتور علي أكبر محسنى و عبدالصاحب طهماسبي.
٤. مقالة «التناص القرآني في شعر فدوى طوقان» للدكتور صادق سياحي و فرحانگل مغانيزاده.
٥. مقالة «التناص القرآني في شعر سميح القاسم» لجعفر بهاء الدين و سميح حسنعليان.
٦. مقالة «التناص القرآني في شعر أحمد شوقي» لآمنة موسوي شجري و محمد حسن معصومي.
٧. رسالة الماجستير بعنوان: «التناص القرآني في أشعار احمد مطر» للسيد ماشاء الله واحدي.

۲. البحث

۲-۱. التناص لغةً

التناص مصطلح نقدي حديث وافد من الغرب، فرض حضوره في مجمل الدراسات الغربية و العربية منها مؤخرًا. هو حديث الوفاة على المشرق العربي، و لقد اختلفت النظريات والمفاهيم و التفسيرات حوله باختلاف التيارات الفكرية و المدارس النقدية أساسا في الغرب. و قبل الحديث عن دلالة التناص في بعده الأدبي، يجدر بنا الكشف عن المرجعية اللغوية له، علما أن مفهوم التناص لغويا لا يسعفنا في التعرف إلى المعنى الاصطلاحي بشكل حاسم.

التناص لفظاً يعود إلى جذره اللغوي (نصص) وقد أورد اصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني تفسر هذا الجذر، فقد جاء في لسان العرب أن النص: «رفعلك الشيء، نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما قد أظهر فقد نُصَّ، و وُضِعَ علي المنصة، أي علي غاية الفضيحة و الشهرة. و قال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهوي: أي ارفع له واسند ونص المتاع نصا: جعل بعضه علي بعض» (ابن منظور، ٢٠٠٥: ٢/٣٩٣٠). النص و التناص في اللغة يعني البلوغ و الاكتمال في الغاية كما قال الفيروزآبادي: «نص الحديث رفعه و ناقته استخراج ما عندها و منه فلان ينص أنفه غضبا و هو نصاص الانف و المتاع جعل بعضه فوق بعض و فلانا استقصي مسألته عن الشيء و العروس أفعدها علي المنصة بالكسر و هي ما ترفع عليه فاتصت و الشيء أظهره و الشواء ينص نصيضا صوت على النار، و القدر غلت ... و اذا بلغ النساء نص الحقائق او الحقائق، فالعصبة أولي أي بلغن الغاية التي عقلن فيها أو قدرن فيها على الحقائق و هو الخصام» (الفيروزآبادي، ١٩٩٦: ٣١٩ و ٣٢٠).

٢-٢. التناص اصطلاحاً

هل هناك نص أدبي يمكن اعتباره نصا مبتكرا خالصا، ام ان صاحب النص لا بد له أثناء بناء النص أن يدخل شذرات من نصوص أخرى إلى نصه، أو ان يتشرب نصه روائح نصوص أخرى؟ فانطلاقاً من هذا التساؤل، قد شاع في نقدنا العربي الحديث مصطلحا «التناص» أو «تفاعل النصوص» أو ما شابههما مما يدل على تداخل النصوص أو تعالقها معا، لكن قد يصعب تحديد مفهوم التناص و هو كباقي المفاهيم يخضع للمنطلق الفكري لكل محدد له من النقاد و الدارسين و الذين أجمعوا على تغييب صاحب النص و الاحتفال بالنص و لاشيء غير النص. و اغلب هؤلاء إنطلقوا من أن التناص

هو حوار النصوص فيما بينها.» وقد نقل محمد مفتاح بعض التعاريف لهذا المفهوم منها: ١- إنه فسيفساء من نصوص أخرى و أدمجت فيه بتقنيات مختلفة. ٢- أو إنه ممتص لها ، يجعلها من عندياته و بتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه و مع مقاصده. ٣- أو محول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها و دلالتها أو بهدف تعضيدها. و التناص عملية من عمليات الاستماع و المتأقفة سواء عند المبدع أو عند الناقد الذي يكشف عن هذه الظاهرة عند اديب ما، و هي تمثل مستوي من مستويات القراءة» (تحرشيشي، ٢٠٠٠: ٥٦).

و جاء في تعريف آخر منه «فالتنصا اذن هو تداخل النص - موضع الدراسة - مع نصوص أخرى قديمة أو معاصرة، بطريقة يتبين فيها قصد المبدع في الإفادة من النص السابق. و هو مختلف اختلافا كبيرا عن السرقة، و هي الاعتداء على نصوص الآخرين. بمعنى آخر، هو التفاعل الذي يحدث بين نص و آخر. أو هو علاقة حضور متزامن لنصين أو أكثر، داخل إطار نصي واحد، سواء حرفيا و تنصيصيا أو بالاشارة، كما في الاستشهاد أو التضمنين، كأن يستشهد الكاتب ببيت من الشعر القديم أو آيات من القرآن الكريم» (الحشاب، ١٩٩٤: ١٥). أو بالأحرى نقول: «إنّ التنصا أساسه التفاعل و التشارك، و هذا يقتضي الحفظ و المعرفة السابقة بالنصوص السابقة، لأن النص يعتمد علي تحويل النصوص السابقة و تمثيلها بنص موحد يجمع بين الحاضر و الغائب و ينسج بطريقة تناسب و كل قارئ، و مبدع» (السعدني، ١٩٩١: ٨).

٢-٣. التنصا في الأدب العربي

لو عدنا إلى النقد العربي القديم، لوجدنا أن جذور مصطلح التنصا تضرب في أعماق الموروثين العربيين النقدي و البلاغي مع ملاحظة الفوارق في ظروف النشأة، و الغايات و الاهداف التي أظهرت هذا المصطلح إلى الوجود، «ولن نقول إنّ النقد العربي القديم قد سبق النقد الغربي المعاصر في إستحداث هذا المصطلح و إستخدامه، فذلك ضرب من الجهل، و لكنّ النقد العربي القديم أشار إلى عدّة مصطلحات نقدية و بلاغية هي في حقيقتها أشكال متنوعة من أشكال التنصا. و من هذه المصطلحات: الاقتباس و التضمنين و السرقة و المعاوضة و المناقضة. و ليست هذه المصطلحات إلا شكلاً من أشكال التنصا، و القاسم المشترك بينها و بين التنصا هو فكرة إنتقال المعنى أو اللفظ أو كليهما، أو جزء منهما من نص إلى آخر و من عمل أدبي إلى آخر مع اختلاف في المقصد و الغاية» (طعمة حلبي، ٢٠٠٧: ٤٣).

يجرى التنصا في الأدب العربي غالباً ما في الشعر حيث «يشكّل التنصا في شعر الحدائثة بنية فنية

و جمالية عميقة الصلة بنسيج القصيدة وخبوطها الدلالية بأبعادها الذاتية و الإنسانية و إمتزاج أزمانها الثلاثة، الماضي و الحاضر و المستقبل و التي كانت بمثابة وسائل تحريضية أو حدّاً فاصلاً لموقف نفسي يريد الشاعر تحقيقه في المستقبل، فهي تكشف الواقع أو تستعيد الماضي أو تستبِق الزمن الحاضر الي المستقبل كما يفعل الحلم الانساني في صنع مستقبل أفضل و أرقى» (رستم پورملکی، ۱۳۸۴: ۱۸).

دخلت ظاهرة التناص في الأدب العربي من خلال الكتب المترجمة من الآثار الغربية بيد النقاد و الأدباء المعاصرين، «لقد غدا حضور أشكال شتى من الموروث الانساني في الشعر العربي المعاصر سمة فنية ، يتسابق كثير من الشعراء المعاصرين إلى استخدامها وقد أطلق النقد العربي المعاصر على هذه الظاهرة مصطلح «التناس» وهو مصطلح نقدي جديد لم يعرفه النقد العربي المعاصر حتى في زمن متأخر من القرن العشرين. فقد ارتبط هذا المصطلح بالمدارس النقدية الاجنبية و وفد الى النقد العربي المعاصر من خلال التواصل الثقافي والحضاري ، الذي اتسع مؤخرًا بين الثقافة العربية والثقافات الاجنبية ، لكن ظاهرة التناص لها جذور عريقة في تراثنا البلاغي والنقدي القديم، إذ إن بعض المصطلحات النقدية العربية القديمة مثل: التضمن و الاقتباس و السرقة و المعارضة و المناقضة، تقترب إلى حد كبير من مصطلح التناص. هذا المصطلح قد ظهر إلى الوجود فعلاً علي يد «جوليا كرسيفا» ۱ في بحوثها التي كتبتها بين عامي (۱۹۶۶ و ۱۹۶۷) و من ثم تبنته جماعة (تيل كيل) ۲ النقدية، و انتشر بعد ذلك في المحافل النقدية بسرعة كبيرة» (طعمة حلي، ۲۰۰۷: ۵). التناص إذن عند كرسيفا، «هو علاقة بين الخطاب في النص و بين خطابات محيطية و ملازمة، أكثر منه علاقة بين جمل معينة تقتبس او تحل او تعارض في جمل اخري مساوية او مقارنة، في نص آخر و منذ ان اطلقت كرسيفا المصطلح شاع استخدام تعبير «التناس» حتى صار موضة في فرنسا على حد تعبير مارك أنجينو الذي أرخ في مقال شامل لمفهوم التناص حتى مطلع الثمانينات» (الحشباب، ۱۹۹۴: ۱۱).

۲-۴. التناص الديني

التناس الديني يعني تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمن من القرآن أو الحديث الشريف أو الخطب أو الاخبار الدينية مع النص الأصلي بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق

۱. جوليا كرسيفا.. باحثة وناقدة و محللة نفسانية، ولدت في بلغاريا، مؤلفة ثلاثين كتاباً تقريباً وتدرس حالياً في فرنسا، مثقفة معروفة عالمياً.

۲. جماعة «تيل كيل» الفرنسية نشأت في الستينيات وأصدرت مجلة لها بذات الاسم.

الشعري و تؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً. «إنّ عملية إستلهاام القرآن الكريم في الشعر المعاصر ليست عملية إقتباس لنص من التراث، و إنما هي عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص، يستكشفها شاعر بعد آخر، كلّ حسب موقفه الشعوري الراهن. و لعلّ هذا يوضّح لنا أن قراءة الشعراء المعاصرين للقرآن الكريم و تفاعلهم معه، في الوقت الذي تؤكد فيه ارتباطهم الصميم بالتراث، توضح لنا كذلك نوعية هذه العلاقة، و تميّزها عن النظرة التقليدية الي النص القرآني و طريقة تفهّمه و التفاعل معه. إنّها قراءة أقلّ ما يقال فيها إنّها أكثر عمقاً و تدبراً و أصالةً. و لعلّها القراءة السليمة التي تجعل نصوص القرآن حيّة نابضة في الضمائر علي الدوام، لا مجرد أصوات و كلمات مقيدة الدلالة» (إسماعيل، ٢٠٠٧: ٣٢).

٢-٥. محمد مفتاح الفيتوري

وُلد الفيتوري في عام ١٩٣٠م. من أمٍ مصرية و أبٍ سوداني، عاش في مدينة الإسكندرية و ترعرع في ربوعها. حفظ القرآن الكريم في الكتاب و دخل الأزهر الشريف، كان همّه الفقر، فعاش في صراع مع الطبقة البرجوازية، فقد كان من الشعراء الذين تميّزوا بالرؤية الإنسانية الممتدة، و بالعزيمة والتحدّي، لذا كانت قصائده تناشد المساواة و الحرية لجميع شعوب الأرض، و إستهدفت الخير للجميع، و رفض العبودية و الإستعمار (الباوي، ٢٠٠٥: ١٠٣).

ترك الفيتوري الجامعة قبل أن ينهي دارسته من رتبة فيها واتجه نحو العمل الصحفي هاربا للدروس وقوانين وقيود الجامعة والحقيقة أن عمله في الصحافة أمن له لقمة العيش وهو ما كان يبحث عنه. مارس الفيتوري أثناء إقامته في القاهرة العمل الصحفي وكتب الكثير من الدراسات الأدبية والسياسية والمقابلات في صحيفة الجمهورية، وبعد انتقاله الى السودان عام ١٩٥٨م. ترأس تحرير أكثر من مجلة وجريدة ومن أبرزها مجلة «الإذاعة والتلفزيون السودانية» وفي لبنان عمل محررا في مجلة «الأسبوع الأدبي» ومحررا في جريدة بيروت وشارك في إصدار مجلة «الديار» كما أسند إليه مهام رئيس تحرير مجلة «الثقافة العربية» الليبية (الفيتوري، ٢٠١٣: ١٢). و في عام ١٩٤٨م. كتب أولى تجاربه الشعرية و هي قصيدة « إلى وجه أبيض» و نشر ديوانه الأول «أغاني إفريقيا» عام ١٩٥٥م. و من أعماله الشعرية: أغاني إفريقيا، عاشق من إفريقيا، أذكريني يا إفريقيا، أحزان إفريقيا، معزوفة درويش، متجول، سولارا، البطل و الثورة و المشنقة. يبدو أنه كان يعاني من ألم نفسي بسبب لون بشرته و دمامة خلقته و فقره الذي أضاف إليها طابع البوس و الشقاء (الباوي، ٢٠٠٥: ١٠٣).

۲-۶. صدی القرآن الکریم فی شعر الفیتوری

أنشد محمد مفتاح شعره في مجلدين يحتويان أشعاراً وطنية و نرى خلال شعره ما إهتم فيه بالقرآن و المضامين القرآنية، و هوكان من حفظ القرآن، و نسج أشعاره على إطار الآيات القرآنية متضمنة ألفاظها و معانيها. و نذكر عدداً من قصائده التي وجدنا فيها أضواءً من القرآن المجيد. الشعر المتضمن للآيات القرآنية سُمي بالنص الحاضر و الآية القرآنية الدالة عليه سُميت بالنص الغائب. قال الفيتوري في قصيدة «نحو الصباح»:

النص الحاضر: يا جنة الخلد في مداه

و حوله تفقُّ العيون

إنّا عدمناك مُشتهينا

كما إشتهيناك مُعدمينا... (الفيتوري، ۱۹۷۹: ۱/۱۸۶).

يشير الفيتوري في هذه القصيدة إلى الجنة التي أُخرج منها أبوانا آدم و حواء عليهما السلام لأجل أكلهما من الشجرة الممنوعة، و يقول الشاعر عن لسان آدم و حواء: نحن فقدنا الجنة لما تَوَحَّينا أن نأكل من الفاكهة الممنوعة و عندما خرجنا من الجنة و أصبحنا معدمين تَوَحَّينا الرجوع إليها و جاء في الذكر الحكيم ما يشير إلى نفس القول:

النص الغائب: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ۳۵)

و قال في قصيدة «إلى عينين غريبتين»:

النص الحاضر: مضى الإنسان الآخر فوق الريح

يحمل صلبان الموت على كتفيه مثل مسيح

من أجل الضعف أموت ؟

بل من أجل القوة ؟ (نفس المصدر: ۴۱۳)

أشار الفيتوري في شعره هذا إلى قضية المسيح (ع) و وفاته، كما يظنّ بعض الناس أنه صُلب و

لكنته ما صُلب كما جاء في القرآن الحكيم :

النص الغائب: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلْبُوهُ وَلَكِنْ

شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء

: ۱۵۷)

و يقول في قصيدة «يوميات حاج إلى بيت الله الحرام»:

النص الحاضر: يموج بإسم الله

الحمدُ لك

الشكرُ لك

والمجدُ لك

والملك لك

يا واهبِ النعيمة يا مليككل من ملك !

لبيتك لا شريك لك

لبيتك لا شريك لك... (نفس المصدر: ٤٨٧)

أشار الفيتوري هنا إلى موسم الحج و مناسكه، إذ الحجاج يهتفون بـ «لبيتك اللهم لك لبيتك لا شريك لك لبيتك»، و جاء في الذكر الحكيم:

النص الغائب: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦)

و قال في قصيدة «كتابة منسيّة» :

النص الحاضر: أعلمُ أنّ الموتَ حقٌّ و الحياةَ باطلة

والمرء لا يعيش مهما عاش إلا ليموت

و كل صرخة مصبٌ نهرها السكوتُ

و أروغُ النجوم هاتيك التي

تُضيءُ دربَ القافلة... (نفس المصدر: ٥٤١)

تكلم الشاعر في قصيدته عن الموت و الحياة و مسيرة الإنسان لا بدّ إلى الموت، و يُدعن أنّ آخر

كل شيء إلى الموت إلا الله تبارك و تعالى، و جاء في الذكر الكريم:

النص الغائب: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ

وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)

و قال الشاعر في قصيدة سماها بـ «الدرويش»:

النص الحاضر: الدرويش كان يقول الله ربي

الله حيّ لا يموت
 كان يُحِبُّ اللهَ كان يتقيهِ
 في نفسه و في ذويه
 و كان يخشاه و يستحييه
 مولاي !
 لو أنك أبصرتَ جلال الله

لسارت الجبال من خلفك و المياه. (نفس المصدر: ۵۵۰)

يذكر الشاعر صفات المؤمنين في صورة درويش هو نموذج للمؤمن المتقي ، لأنه يحب الله و يتقيهِ و يخشاه و يستحييه منه و قال في نهاية القصيدة : لوأصحت مع الله تسير الجبال و المياه خلفك، كما كان شأن داود (ع) مع الجبال و الطيور عند تسبيحه لله الواحد القهار، و جاء في الذكر الحكيم:
النص الغائب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ۴۸ و ۴۹)

النص الغائب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: ۱۰)
النص الغائب: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يُمُوتُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ

يُسَخِّرْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (ص: ۱۷ و ۱۸)

و قال في قصيدة اسمها «الآن يا شيخي»:

النص الحاضر: الآن يا شيخي نحن إثنان

أنت و أنا

يا ويلتا أغلقت الريح الدروب خلفنا

وإنقسم الإنسان شطرين

كما لم يشأ الإنسان... (نفس المصدر: ۵۷۵)

أراد الشاعر من لفظة «شطرين» الشاكر و الكافر، أو الحق والباطل ، مشيراً إلى إبنى آدم (ع)، حيث صار قابيل باطلاً بقتل أخيه هابيل حقاً و هذا من سنن الحياة، بأن يكون الحق والباطل متخاصمين دائماً في كل الأزمنة. و قد جاء في الذكر الجليل:

النص الغائب: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان : ۳)

و قال الفيتوري في قصيدة «الوصايا القديمة» :

النص الحاضر: إرجعي يا بلادي إرجعي

إنهم يحملون الجنائز و الموت في دمهم

يكتبون الوصايا القديمة

في فجوات العيون

إنهم ميّتون ... (نفس المصدر: ١٣٨/٢)

أشار شاعر مرة أخرى إلى الموت الذي لا مفرّ للناس منه أينما كانوا. كما خاطب الله تعالى رسوله

منذراً بالموت و قال عزّ وجلّ:

النص الغائب: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر:

٣١ و٣١)

و قال في قصيدة « ثورة عمر المختار »:

النص الحاضر: إسمعوا أيها القوم

إنّ الصلاة فريضة

حقاً هذا صحيح ولكن

أيها المسلمون

الجهاد فريضة

أشهد لم يبق إلاّ الجهاد

و قال تعالى

يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ

كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

صَدَقَ اللَّهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ

و قال تعالى

و لا تُلْقُوا بِأَنْفُسِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ... (نفس المصدر: ٣٢٧/٢)

تكلم الشاعر عن الصلاة و الجهاد في سبيل الله، و لكنه أوجب الجهاد و فضّله على الصلاة، و

قال (صحيح بأن الجهاد فرض و لكن لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)، هذا عجيب جداً، في البداية

يقول شيئاً و في النهاية يُنكره، كلامه عجيب جداً جداً. أراد الشاعر من قوله تبين حالات المسلمين بأنهم يقولون ما لا يفعلونه و قد تركوا الصلاة و الجهاد و يهتفون دائماً في آذان الآخرين: الصلاة الصلاة، الجهاد الجهاد، و قد غلب النوم على أنفسهم و هم غافلون. و قال الله جلّ جلاله:

النص الغائب: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ۲۳۸).

النص الغائب: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ۲۱۶).

لقد أخطأ شاعرنا الحافظ في هذه القصيدة و قال من قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال كما كتب على الذين من قبلكم» و الحال ليس في القرآن آية مثل هذه الآية، و لكن هناك آية أخرى تشبهها وهي:

النص الغائب: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ۱۸۳).

على الشاعر أن يدقق في قوله و ما ينشده و عليه أن لا يقع في الخطأ الكلامي بالنسبة إلى كلام الله تعالى من الآيات التي يستند بها. و قال شاعر في ختام قصيدته «لا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة» و اقتبس هذه الآية من سورة البقرة:

النص الغائب: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ۱۹۵).

الفيتوري شاعر كبير من قارة كبيرة، ولكنه لم يستطع أن يلقي ما في ضميره من الأفكار والآراء التي كانت ترتبط مع عقيدته، صحيح بأنه مسلم و تربى في أسرة دينية، ولكنه تأثر من بيئته الملوثة بالخرافات، و لم يقدر أن يُنجز آماله في طريق الشعر. هناك للشاعر بعض النزعات و الأفكار و العقائد الشخصية التي تختلف عن الفكرة الإسلامية.

٤. الإستنتاج

نستنتج من هذا البحث أنّ الشعر العربي يحتوي بين دفتيه مضامين القرآن الكريم و نسميها التناص القرآني. و هناك رجال يدعون أنّهم لم يتأثروا من القرآن الكريم و الحقيقة غير ذلك، لأنّ القرآن ضوء من أضواء الرحمن و يجري في كل المجارى و يتسرّب بين ضلوع الكلم و الأقوال لمن كان صاحب فكرة أو كلام يُلقيه باللغة العربية. فإذاً يمكن القول إنّ في كل كلام عربي أو في كل شعر عربي قد قيل بعد نزول القرآن الكريم شذرات من القرآن الكريم لفظاً أو معنىً.

المصادر

القرآن الكريم

ابن منظور، جلال الدين (٢٠٠٥). لسان العرب، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.
اسماعيل، عزالدين (٢٠٠٧). الشعر العربي المعاصر (قضاياها و ظواهره الفنية و المعنوية)
بيروت: دارالعودة.

الباوي، محمد محمود (٢٠٠٥). عمالقة الأدب العربي المعاصر، بيروت: دارالأرقم.
تحريشي، محمد (٢٠٠٠). أدوات النص دراسة، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
حمود، محمد العبد (١٩٩٦). الحدائث في الشعر العربي المعاصر، بيروت: الشركة العالمية للكتاب.
الحشاب، وليد (١٩٩٤). دراسات في تعدي النص، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية.
رستم پور ملكي، رقية (١٣٨٤). التناص الديني في شعر محمود درويش، مجلة الجمعية العلمية
الايرانية للغة العربية وآدابها، السنة الأولى، الرقم الثالث.

السعدي، مصطفى (١٩٩١). التناص الشعري (قراءة أخرى لقضية السرقات) القاهرة: دار المعارف.
طعمة حلي، احمد (٢٠٠٧). التناص بين النظرية و التطبيق، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية
للكتاب.

عبدالباقي، محمد فؤاد (١٩٩٩). المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، بيروت: منشورات مؤسسة
الاعلمي للمطبوعات.

الفيتوري، محمد مفتاح (١٩٧٩). ديوان الفيتوري المجلد الأول و الثاني، بيروت: دارالعودة.
_____ (٢٠١٣). شاعر إفريقيا السودانى محمد مفتاح الفيتوري، مجلة إفريقيا قارتنا،
العدد الرابع، ابريل ٢٠١٣.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (١٩٩٦). القاموس المحيط، بيروت: دارالفكر.